اسرائيل هم جزء من الشعب الفلسطيني الذي ينتمي إلى البلدان المتخلفة الآسيوية ذات النمط الخاص في الاقتصاد، والتي تتشابه مع البلدان المتخلفة الأخرى من حيث ارتفاع النسبة المئوية لزيادة عدد السكان. وهم يتمسكون، بأصالة، بهذا الانتماء أكثر من باقي أجزاء الشعب الفلسطيني في مناطق توزعه الأخرى، وذلك على الرغم من تعايشهم بشكل قسرى مع المجتمع الصهيوني. فهل سيتأثر الفلسطينيون في اسرائيل بالاسقاطات المنتظرة للنمو السكاني؟! ولماذا؟

ان الاختلافات المتوقعة في أنماط النمو داخل آسيا، بكل مجموعاتها التصنيفية السكانية، هي النتيجة المنطقية للتباين الكبير الكائن داخل كل مجموعة ديمغرافية؛ وهذا التباين يعكس بدوره التحولات التي تحدث في معدلات الخصوبة والوفيات.

وحقيقة الأمر ان خفض متوسطات الوفيات هو أمر سهل عند مقارنته بخفض المتوسطات العامة للخصوبة، حيث أنه يمكن التأثير على متوسطات الوفيات بالتحكم في بعض العوامل الخارجية، كمضاعفة الاهتمامات المادية والمعنوية المتعلقة بالعناية العامة صحياً واجتماعياً وبيئياً؛ وهذا الأمر كفيل بالتحقق في ظل التقدم الاقتصادي والاجتماعي. وحتى في تلك البلدان التي تتسم بمعدلات وفيات مرتفعة، يصبح من الممكن جداً حدوث زيادة في معدلات نمو السكان فيها.

لكن الفلسطينيين في اسرائيل يعيشون وضعاً مختلفاً، فمعدلات الوفيات بينهم، كما اسلفنا سابقاً، متدنية بالقياس إلى عدد الولادات الأحياء وإلى عدد الوفيات بين الأطفال، حتى في ظل واقع اقتصادي واجتماعي غير متماثل مع محيطه بسبب من السياسة العامة للصهيونية تجاه الفلسطينيين. هذا أولاً، وثانياً فان المعدلات الكلية للخصوبة مرتفعة والمجتمع شاب وحيوي. وثالثاً هناك صراع ديمغرافي يواجهه الفلسطينيون بسبب السياسة السكانية للكيان الصهيوني ذات الأثر الابادي ضدهم.

لذلك، فان أي إستقراء تفصيلي لمستقبل التطور الديمغرافي للفلسطينيين يجب أن يأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار، قبل إسقاط المقولات النظرية الناجزة في علم الديمغرافيا عليها، إضافة إلى التوقعات التي يفترضها صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية على ضوء السياسة السكانية التي يجري العمل من أجل تحقيقها دولياً.

صحيح أن واقع الصهيونية في اسرائيل هو استمرار تلقائي للمقومات الرئيسية لصيغة المجتمع الفلسطيني التي كانت قائمة أيام الانتداب البريطاني، والتي كانت محكومة بعلاقات انتاج شبه إقطاعية؛ فعلى الرغم من أن علاقات التبادل النقدي قد سادت هذا المجتمع منذ العشرينات، إلا أن المجتمع الفلاحي القروي، حيث يعيش أكثر من ٣٠٪ من السكان، ظل يحتفظ بسماته العامة، فهو مجتمع تسوده علاقات الانتاج شبه الاقطاعية، ويسوده أيضاً الانتاج البضاعي البسيط، والانتاج من أجل الاكتفاء الذاتي.

وصحيح، أيضاً، أنه نتيجة قيام (دولة اسرائيل) في ١٥ ايار (مايو) سنة ١٩٤٨، كبناء فوقي لمجتمع رأسمالي متطور ومرتبط بآلية الحركة الامبريالية كأعلى مرحلة من